إدارة مصر خلال الحكم الآشوري(٧٠١-٦٥٤) ق.م

م.هيفي صبري جميل

قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية

جامعة دهوك، اقليم كُردستان العراق

Hivi.sabri@uod.ac

إدارة مصر خلال الحكم الآشوري(٧٠١-٦٥٤) ق.م

م.هيفي صبري جميل

الملخص:

ترجع علاقات مصر مع العراق الى عصور ما قبل الاسرات، فقد كان هناك تطور متشابه ومتعاصر كبير في كلتا الحضارتين، وبعد هذه الفترة يبدو أن الاتصال قد توقف قليلاً لفترة ما واكتف مصر بالعلاقات التجارية، كان ملوك اشور خلال الدولة الحديثة يتبادلون المراسلات الدبلوماسية مع ملوك مصر خلال الدولة الحديثة(١٥٦٧-١٠٨٥) ق.م، وفي عصر الاشوري الحديث بدأ التنافس السياسي بين الاشوريين والمصريين في الاراضي السورية التي كان يطمح كل منهما الى بسط سلطانه عليها من اجل تأمين حدوده وضمان التجارة وحماية طرق مواصلاتها للحصول على المواد الأولية اللازمة، لهذا تكررت الحملات العسكرية الاشورية على مصر التي كانت تدعم وتحرض المدن سوريا وفلسطين ضد الوجود الاشوري هناك، وتوالت انتصاراتهم على المصريين انتهت بسيطرة اشور على مصر.

كلمات مفتاحية: إدارة – مصر – العصر الاشوري الحديث

المقدمة:

أصبحت المملكة الاشورية في ذلك العصر في مركز الصدارة بين دول وممالك الشرق القديم سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي او القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة بأسرها، وتصادمت مصالحها في تلك الفترة مع المصريين على المدن السورية – الفلسطينية، نتيجة سيطرة الاشوريين على المنطقة وتهديد مصالح مصر التجارية، كما كان بالإمكان الوصول الى بلاد وادي النيل من أراضي تلك المدن عبر سيناء وصولاً الى الدلتا، وهو الطريق الذي أتبعه الاشوريون في حملاتهم العسكرية في القرن السابع قبل الميلاد.

علاوة على ما قدم فقد قسم البحث الى المحاور الاتية:

الغزو الاشوري لمصر

المحور الأول: دوافع الحملات العسكرية

المحور الثاني: اهم الحملات العكسرية الاشورية

المحور الثالث: إدارة مصر خلال الحكم الاشوري

المحور الأول

دوافع الحملات العسكرية:

أ. **التنافس الاشوري المصري في بلاد الشام:** اتسمت العلاقات بين بلاد وادي الرافدين ومصر منذ أيام الامبراطورية المصرية (١٥٨٠-١٠٨٥ق.م) بالتعاون والتحالف وتبادل رسائل الاخوة

والصداقة والمصاهرات، والتبادل التجاري بين الاشوريين والمصريين، كما ورد في نص يعود الى الملك سرجون جاء فيه:" **لقد فتحت ميناء مصر المسدود وجمعت الاشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم**"(١). إلا أنها بدأت تختلف وتتباين في المراحل اللاحقة، ففي القرن العاشر وبداية القرن التاسع قبل الميلاد حدثت تغيرات عميقة في الجغرافية السياسية لغرب اسيا في دول الشرق الادنى القديم اذ استطاع الاراميون (٢) من الوصول الى شمال الشام وكونوا عدة دويلات آرامية صغيرة امتدت من لبنان وحتى جبال زاكروس واستطاع الفلسطينيون(٣) دخول ارض كنعان، كما ازدهرت الأقاليم الفينيقية التي أقام فيها الفينيقيون(٤) على امتداد الساحل اللبناني، واصبح اقصى شمال سوريا وجبال طوروس تحت سيطرة ممالك حثية جديدة(٥)، وكان الميديون(٦) قد استقروا وراء جبال زاكروس. أما مصر فكانت في تلك الفترة ضعيفة ومقسمة فقد فقدت سيادتها في مناطق اسيا بانتهاء حكم الاسرة العشرين، وانكمشت الى حدودها الطبيعية وفقدت كل امبراطوريتها، بل كان يحكمها بيتان مالكان احدهما في تانيس (شرق الدلتا) والآخر في طيبة (٧)، في الوقت الذي شهدت فيه نجاح المملكة الاشورية وتعاظم قوتها وازدهار حضارتها واتساع امبراطوريتها، وقامت سياستها الخارجية على فرض السيطرة على المناطق المتاخمة لحدودها، ولا سيما تلك المدن التي تقع على طرق الاتصالات التجارية مع بلاد الشام باتجاه البحر المتوسط، لتلبية الحاجات الاساسية من السلع والبضائع التي تحتاجها الامبراطورية الاشورية، هكذا كانت السيطرة على تلك المدن هي الدافع الأساسي لقيام الملوك الآشوريين في تلك المرحلة بسلسلة من الحملات العسكرية التي قمعت من خلالها التمردات التي حدثت ضدهم، التي هددت أمنهم وسيادتهم واستقلالهم وتجارتهم(٨).

ب-**تحريض مصر للمدن السورية ودويلاتها ضد الاشوريين:** ففي الوقت الذي كانت في مصر مشغولة بأمورها الداخلية التي طغت عليها القلاقل والاضطرابات والثورات الداخلية من اجل الاستحواذ على عرش مصر، كانت اشور في تعاظم ونمو مستمرين، وبذلك اتسمت العلاقات الاشورية المصرية في هذه المرحلة بالتنافس السياسي للسيطرة والتوسع في بلاد الشام، ولان المصريين عمدوا الى تحريض الدويلات والمدن السورية والفلسطينية التي سيطر عليها الاشوريون من اجل حماية حدود بلاد اشور الغربية اولا ثم تامين طرق تجارتها التي تعتبر من الركائز الاساسية في الاقتصاد الاشوري ثانياً، ادى ذلك الى احتكاك الاشوريين بالمصريين في هذه المنطقة لتضارب مصالحهما وتطور هذ الصراع في المراحل القادمة الى ارسال حملات عسكرية الى مصر نفسها(٩).

وتطبيقا لهذه الاستراتيجية الاشورية فقد قام ادد - نراري الثاني (٩١١-٨٩١) ق.م مؤسس الامبراطورية الاشورية الاولى بإخضاع المنطقة الواقعة غربي دجلة والتي كانت ما تزال في أيدي القبائل الآرامية، فأجبرتها على الاعتراف بسلطانه ودفع الجزية وذلك باستيلائه على عدد من المدن الواقعة على امتداد الفرات الاوسط وجعلوا منها قاعدة في السيطرة على طرق التجارة بين بلاد اشور والبلاد السورية، وبهذه الخطوة تكون اشور قد بدأت صفحة جديدة من الصراع والتنافس الاشوري

المصري في بلاد الشام، إذ أدت هذه السياسة الى احتكاك الطرفين في الاراضي السورية التي كان يطمح كل منهما الى تحقيق مكاسب تجارية واقتصادية في هذه المنطقة الغنية والحيوية سواء من حيث التجارة، او من حيث الغنائم الكبيرة التي يجمعونها، هذا فضلاً عن ادراكهم لما تمثله هذه المناطق من عمق أمني ذو استراتيجية دائمة وفاعلة توفر الأمن والاستقرار للحدود الجغرافية للبلدين ضد اي غزو متوقع من هذه المنطقة على كل من الاشوريين في جبهتهم الغربية امام مخاطر الآراميين، والمصريين على الجبهة الشمالية الشرقية، وهي المنطقة الوحيدة التي تكون فيه مصر مكشوفة الى العالم الخارجي، فالهكسوس غزوا مصر عن طريق هذه الجبهة لهذا كانت مصر حريصة على تأمين حدودها في هذه الاتجاه. ولما كانت مصر خلال عصر الاسرتين الثانية والثالثة والرابعة والعشرين (٩٤٥-٧٣٠) ق.م غير قادرة على مواجهة قوة الاشوريين، لذلك عمدوا الى اثارة القلاقل والاضطرابات في منطقة سوريا وفلسطين ودعم دويلاتها وتحريضها على التمرد والثورة ضد الحكم الاشوري، كما أنهم قدموا المساعدات المالية والعسكرية وكذلك المعنوية لهذه الأقاليم اثناء عصيانها وتمردها[١٠].

ج- التدخل المصري في الشؤون الاشورية في بلاد الشام:

كانت سياسة مصر خلال الحكم الكوشي عدائية تجاه بلاد اشور، فضلاً عن أنها كانت مأوى للأمراء والحكام المتمردين الفارين من قبضة القوات الاشورية وتقدم لهم الدعم المادي والعسكري، اي ان مصر كانت تشكل عمقاً ستراتيجياً للعناصر الحاقدة والمتمردة على الوجود الاشوري في بلاد الشام، وهكذا لا يمكن للاشوريين توطيد الامن والاستقرار في المنطقة مالم يتم القضاء على التدخل المصري في شؤون المدن التابعة للاشوريين في سوريا وفلسطين، وان ذلك لا يتحقق الا بإرسال حملات عسكرية الى مصر، ومن ثم اقامة علاقات طيبة مع الحكام المحليين من الوطنيين المصريين، وحماية الحكام الموالين لاشور[١١].

المحور الثاني

أهم الحملات العسكرية:

في فترة حكم سنحاريب بدأت حركات التمرد بين المدن السورية والفينيقية حال انتشار نبأ وفاة الملك الاشوري سرجون الثاني(٧٢٢-٧٠٥) ق.م، واقيم حلف ضم صور – صيدا- عسقلان، وقام بقطع صلاتهم مع اشور وامتنعت عن دفع الضرائب المفروضة عليهم وطرد الحكام الموالين للآشوريين، وهكذا خسرت المملكة الاشورية الكثير من الجوانب السياسية ومكاسب اقتصادية وفسحت المجال لمصر من أن تأخذ دورها في هذه المنطقة وتكون منافسة لآشور، لهذا جهز سنحاريب حملة عسكرية عام ٧٠١ق.م ودارت اول معركة مع حاكم صيدا الذي كان يميل الى المصريين لضمان مساعدتهم له ضد هجمات الاشوريين، انتهت المعركة لصالح سنحاريب لتأخر وصول المساعدات التي وعده بها الى حاكم صيدا الذي هرب الى قبرص[١٢]، وفرض سنحاريب سيطرته على وصيدا ودمرها كاملاً وبنى فيها مدينة جديدة

سميت (Kar Esarhadon) اي حصن اسرحدون، واسكن فيها جماعات من سكان الاجزاء الشرقية للملكة الاشورية وعين فيها حاكماً اشورياً، وزاد الضريبة المفروضة على صيدا، كما أشار الى ذلك النص الآتي:"**جمعت معاً ملوك ارض حاتي وساحل البحر جميعاً وبنيت مدينة اخرى اسميتها كار اسرحدون... وان ذلك الاقليم اعدت تنظيمه وجعلت احد موظفي حاكماً عليهم وفرضت عليهم ضريبة اكثر من قبل**"[١٣]. وفي نص اخر: " **في حملتي الثالثة ذهبت الى ارض خاتي (سوريا)، لوليا ملك صيدون (-şi du-un)(لم يعترف بسلطتي هزمته، وفرضت سيطرتي عليه وولى مدبرا الى وسط البحر (قبرص) ومات هناك.** صيدون **الكبرى، صيدون الصغرى وبيت زبنيتي واشو (ushu) وآكو (akku) مدينة القوية المحصنة أخضعتها بقوة أسلحة الآله آشور. وقبلوا أقدامي**"[١٤].

كما جهز اسرحدون حملة على صور واجبر حاكمها على تقديم الولاء للملك الاشوري، واخذ عدد من سكانها الذين عملوا في بناء قصره[١٥]، وكان لسقوط صور في ايدي الاشوريين وقع مؤثر على مصر لفقدانها تجارة الاخشاب من لبنان، وهذا ما اشار إليه العهد القديم:" **عند وصول الخبر الى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور**"[١٦].

بعد سيطرته على المدن عسقلان وعكا واشدود وموآب ويافا، توجه سنحاريب نحو مدينة لاخيش (تل الدوير) وفرض عليها الحصار، الا انه رفع الحصار عنها لوصول الجيش المصري بقيادة طهراقا وحدثت معركة بين الطرفين في منطقة التكية عام٧٠١ق.م تمكن خلالها سنحاريب من الحاق هزيمة بالجيش المصري، واجبر مدينة لاخيش على الاستسلام واعاد اليها حاكمها الموالي للآشوريين، وأسر أبناء الفرعون شبكا(٧١٦-٧٠١ق.م) وقواده[١٧]، كما ورد في النص الآتي:" **جميع الذين جاؤوا الى مساعدته من جيوش المصريين في مدينة التكية، طهرقا بقوة الاله اشور سيدي هزمتهم، العربات والامراء التي تعود الى طهرقا في وسط مدينة التكية التي حاصرتها وأخضعتها ضمن الغنائم. قتلت المتمردين وعلقت جثثهم على أسوار المدينة**"[١٨].

اعتلى اسرحدون عرش آشور(٦٨٠-٦٦٩)ق.م اثر اغتيال والده سنحاريب في بابل، باعتبار ان اسرحدون كان الوريث الشرعي لعرش ابيه في اشور، وبتسلمه الحكم تبدأ المرحلة الثالثة من العلاقات الاشورية المصرية التي حدثت خلالها الحملات الاشورية على مصر، فقد انتهزت صور فرصة الصراع بين مصر واشور واتحدت مع طهراقا معلنة الثورة [١٩].إذ لم يكن باستطاعة مصر أن تقف مكتوفة الأيدي أمام النشاط التجاري والسياسي الاشوري في بلاد الشام ن فبذلت كل ما في استطاعتها لزعزعة النفوذ الاشوري ولعب ملوك الاسرة الخامسة والعشرين دورهم بمهارة، فقد حاول طهراقا إعادة النفوذ المصري الى الساحل الفلسطيني وفينيقيا[٢٠]، مستغلاً انشغال اسرحدون لإعادة استقرار ملكه الذي كان مهدداً بسبب قتل والده، فاستغل الفرصة وعقد محالفات مع ولاة الاشوريين في صيدا وصور، فضلا عن دعمه للأمراء والحكام المتمردين الفارين من قبضة القوات الاشورية، فاتخذ من تانيس (صان الحجر) مقراً لحكمه حتى يتمكن من متابعة الاوضاع وليشرف عن كثب على حدود بلاده الشرقية، كما أنها كانت قريبة من آشور[٢١].

خطى اسرحدون عدة خطوات لتنفيذ مشروعه بغزو مصر منها كسب ولاء القبائل العربية ومشايخها في منطقة سيناء وبذلك أمن الطريق، وأعاد احد الحصون الى حاكمه السابق (حزائيل) بعد ان كان سنحاريب قد الحق ذلك الحصن بالدولة الاشورية، كما قمع الثورات التي قامت بها المدن الفينيقية فاستولى على صيدا(٢٢).

وفي عام ٦٧٤ ق.م بدأ حملته الاولى على مصر ولكنه فشل بسبب العواصف التي واجهته على الحدود الشرقية المصرية، فانسحب الجيش الاشوري لإعادة تنظيمه وتجهيزه للقيام بحملة اخرى، وكان اسرحدون حائراً يتساءل فيما إذا كانت الحملة جديرة بالنصح وفيما اذا كان سيعود منها بسلامة وفيما يلي ما جاء في تساؤله:" **يا شمش السيد العظيم اعطني اجابة موجبة أكيدة لما اسألك عنه هل يجب على اسرحدون ملك اشور العمل والتخطيط ؟ هل يجب عليه أخذ الطريق مع جيشه ومعسكره والذهاب الى منطقة مصر كما يجب ؟ هل يجب عليه أن يؤجج الحرب ضد طهراقا ملك كوش والقوات التي لديه ؟ وإذا ذهب هل سيدخل في المعركة مع طهراقا ملك كوش وجيشه... هل أن اسرحدون ملك اشور سيعود حياً ويضع قدمه على الارض الاشورية**"(٢٣).

يبدو ان رد الاله كان إيجابياً، فسار على رأس جيشه نحو سوريا عام٦٧١ ق.م فأخضع الممالك الساحلية مثل صور وعاقب حاكمها بعل لانضمامه الى المصريين، وصيدا الذي لاذا حاكمها بالفرار الى الجزيرة بعد تأخر وصول المساعدات المصرية إليه (٢٤)، ثم تابع طريقه لملاقاة الجيش المصري ونجح في عبور صحراء سيناء بمساعدة البدو الذين أمدوا الجيش الاشوري بالجمال اللازمة لنقل الماء، كما جاء في النص التالي: " **ولم يكن وجود نهر وقد كان علي أن امد جيشي بالماء بوساطة حبال وسلاسل ودلاء لسحبها من الآبار وعندما او أمر اشور سيدي جاءت عن طريق الوحي الى ذهني فرحت روحي ووضعت قرب ماء... على الجمال التي احضرها لي كل ملوك العرب** "(٢٥).

ووصف اسرحدون تفاصيل الحملة قائلاً: " **كنت أقاتل يومياً في معارك دامية ضد طهراقا ملك مصر واثيوبيا المغضوب عليه من الالهة وذلك من مدينة اشهو بري حتى ممفس عاصمته الملكية وهي مسافة قطعت في خمسة عشر يوماً وقد ضربته خمس مرات بسن سهامي واصبته بجراح سوف لن يشفى منها ابداً وبعد ذلك حاصرت ممفس مقره الملكي وفتحتها في نصف يوم عن طريق فتح ثغرة في اسوارها وهجمت عليها بالسلالم وخربتها وهدمت اسوارها واحرقتها** "(٢٦).

وبذلك تمكن اسرحدون من دخول ممفس وهرب طهراقا الى الجنوب، ووقع نساؤه واولاده وبناته التي اخذها اسرحدون كغنائم الى نينوى:"... **اكثر من اعداد الجراد من اموال جلبتها (وقدمتها) الى آشور، أنليل، ننورتا، كولا، نركال، عشتار ملكة (اربايلو Arbailu) اربيل الذين وقفوا بجانبي وسحقوا أعدائي واستجابوا لكل رغباتي اقدم هذه الهدايا، الذهب اللامع والفضة، الأحجار الكريمة، غنائم مصر واثيوبيا التي حصلت عليها بأمر من اشور ومساعدته...**" (٢٧).

حملات الملك اشور بانيبال عام ٦٦٧ق.م: ورث اشور بانيبال عن أبيه حكماً مستقراً في المناطق السورية، إذ جددت له المدن الفينيقية ولائها وقدموا له الهدايا، وزودوه بالسفن التي كان يحتاجها في

اسطوله العسكري، ولكن لم يستمر ذلك كثيراً[٢٨]، فعلى الرغم من الضعف الذي دب في المملكة المصرية وانكماشها في داخل بلادها، فكانت تلزم جانب الدويلات السورية ضد الاشوريين، وتحرضها على التمرد للتخلص من الحكم الاشوري، وكانت وفاة اسرحدون وهو في طريقه لشن حملة ثالثة على مصر٦٦٩ق.م فرصة ملائمة للملك النوبي طهراقا لإعادة حكمه من جديد وتثبيت اركانه، وقد سار هذا الملك شمالاً باتجاه ممفس، حيث دخلها واستقر فيها، وارسل قواته نحو الدلتا لتثبيت مركزه في مواجهة الأمراء الوطنيين والموظفين الآشوريين المعينين من قبل اسرحدون لحكم مصر، ولم يبد هؤلاء الامراء أية مقاومة تجاه قوات طهراقا ولاذوا بالفرار شرقاً الى سوريا، للحصول على مساعدة الاشوريين، وقد جاءنا نص من عهد الملك اشور بانيبال، وهو:"**في حملتي الاولى سرت لمواجهة مكان (عمان) وميلوخا (نوبة ومصر) التي هزمها واخضعها والدى اسرحدون، الا ان تارقو نسي قوة اشور والالهة العظيمة سادتي ووثق بقوته الخاصة في زحفه نحو الملوك (الحكام) الذين نصبهم والدي لحكم مصر، حيث صمم تارقو على قتلهم ونهبهم وتقليل اهمية مصر، وقد انزل الهزيمة بهم، ودخل ممفس التي هزمها والدى، وضمها الى اقليم بلاد اشور...**"[٢٩].

ارسل اشور بانيبال قائد حربه الى سوريا حيث جمع جيوشاً من سوريا وفلسطين وصحراء سيناء[٣٠]، وجاء في النص ما يلي: " **أتاني الرسول الآشوري الى نينوى، واخبرني بما جرى عندها تضرعت الى الالهة العظيمة، وزحفت بجيوشي نحو مصر وأثيوبيا اثنان وعشرون ملكاً من ساحل البحر ومن وسط البحر ومن الارض الرئيسة** "[٣١] . زحفت كلها ضد مصر وهؤلاء الملوك قدموا الجيوش والسفن الى اشور بانيبال، وعندما علم طراقا بذلك ارسل جيشاً لملاقاة القوات الاشورية وحلفائها، والتقى الطرفان قرب مدينة كاربانيتي (شرق الدلتا) انتصر فيها الجيش الاشوري الذي تقدم نحو منف واستولوا عليها، وهرب امامهم طهراقا الى طيبة وتعقبه الاشوريون الذين ضربوا الحصار عليها ثم دخلوها منتصراً وتعرضت للسلب والنهب، واقام الاشوريون الحاميات في المدن الرئيسية وذلك كان في عام ٦٦٦ق.م وقامت مصر بدفع الجزية لآشور[٣٢].

بعد وفاة طهراقا توج تانوت آمون (الذي سماه الاشوريين تندماين) على كل من نباتا وطيبة عام ٦٦٤ق.م، وطرد امراء الدلتا الموالين للاشوريين، وكان منتومحات اميراً على طيبة آنذاك وموالياً لتانوت آمون، لهذا تقدم آشور بانيبال بجيشه نحو مصر ففر تانوت آمون الى طيبة. وقدم حكام الدلتا الموالون للآشوريين فروض الطاعة لاشور بانيبال، وفي هذه المرة حاول اشوربانيبال ان يعاقب بشدة تانوت آمون، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التي نهبها ودمرها ومن بين الغنائم التي سلبها سلتان يغطيهما الذهب والنحاس[٣٣]، وترك آشور بانيبال نص يوضح تفاصيل الحملة كما يأتي:" **في حملتي الثانية سرت مباشرة لمواجهة مصر واثيوبيا، تندماني علم بتقدم قواتي، ولما دخلت القيم مصر، هجر ممفس وهرب الى نيع لينقذ حياته، وجاء الملوك والأمراء الذين عينتهم في مصر لمقابلتي وتقبيل قدمي، تعقبت تندماني سريعاً الى طيبة مركز قوته، فزع من معركتي الضارية، وترك طيبة وهرب الى مدينة كيب كيبي kipkipi الواقعة في بلاد النوبة، تلك مدينة طيبة بيدي هزمتها ودخلتها بمعونة الاله اشور وعشتار،**

فضة، ذهب...مسلتين طويلتين مغلفتين بالبرونز موضوعتين على جانبي بوابة معبد المدينة، حركتهما من قواعدهما ونقلتهما الى بلاد اشور..." [٣٤].

بعد موت نيخاو الاول(٦٧٢-٦٦٤) ق.م، الذي كان يحكم في سايس ومنف كتابع للآشوريين، جاء ابنه بسماتيك الاول(٦٦٤-٦١٠) ق.م الى الحكم، وقد بقي مخلصاً سنين عديدة للآشوريين، الا انه كان يتحين الفرص للتخلص منهم عن طريق دعم أجنبي. واستطاع بمساعدة الايونيين والكاريين (اقوام سكنت اسيا الصغرى) طرد القوات الاشورية من مصر(٦٥٨-٦٥٠)ق.م وتعقب فلولها حتى مدينة اشدود في فلسطين، ولم تقم اشور بأي رد فعل تجاه تلك الأحداث لأنها كانت مشغولة بحرب ضد بلاد عيلام بعد مهاجمتها بلاد الرافدين[٣٥].

المحور الثالث

ادارة مصر خلال الحكم الاشورية:

اتسعت الرقعة الجغرافية للمملكة الاشورية في عصر الامبراطورية (٩١١-٦١٢) ق.م لتشمل أغلب أنحاء الشرق الأدنى القديم إذ امتدت حدودها من وادي النيل غرباً غلى عيلام شرقاً ومن اسيا الصغرى شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً. كانت امبراطورية شاسعة ولا يتمكن اي ملك مهما كانت كفأته وقابليته من ادارتها بصورة مباشرة، لذا قسمت اراضيها على مقاطعات لكي يسهل ادارتها[٣٦]، وكان يتم اختيار موظفين ذوى كفاءة وخبرة عاليتين ويتم الاشراف عليهم مباشرة من قبل الملك، وكانت سياسة الملك مع هؤلاء لينة، كما كان حاكم الاقليم نفسة يتبع سياسة الترضية تجاه سكان الاقاليم، ويمتلك الحاكم في المقاطعة قوة عسكرية تكون تحت امرته يستخدمها لقمع التمردات التي تحدث ضده في الاقليم او المقاطعة، وتقع على عاتقه مسؤوليات متعددة منها جمع الضرائب وارسالها الى مركز الحكومة[٣٧]، إذ كانت تلك الاقاليم ملزمة بدفع ضرائب سنوية معينة الى الدولة الاشورية، اما إذا امتنعت عن دفع الجزية ورفضت الاعتراف بسلطان الدولة الاشورية او دخلت حلفاً او ابرمت معاهدة مع دولة معادية لآشور، عندئذ يقوم الملك الاشوري بتجهيز حملة عسكرية ضدها للسيطرة عليها والقضاء على السلالة المحلية الحاكمة واقتطاع بعض اجزاءها وضمها الى الاقاليم المجاورة[٣٨].

وهكذا أدرك اسرحدون ان السبيل الوحيد للاحتفاظ بمصر هو تقسيمها الى ممالك صغيرة متشابهة، ولبعد مصر عن مركز المملكة الاشورية جعل من المتعذر حكمها بشكل مباشر، لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة، ويحكم في كل منها امير محلي من المقاطعة تابع للمملكة الاشورية اطلق عليه لقب Shar مع موظفين اشوريين وحاميات لحفظ الأمن والنظام، وسمح للأسرات المحلية بالبقاء في مراكزهم بشرط أن يستمروا في موالين له، واتخذ من مدينة ممفس مركزاً لإدارة مصر[٣٩]، وفرض ضرائب سنوية منتظمة لتقديم القرابين إلى الاله اشور وضريبة اخرى للملك اسر حدون بوصفه السيد الأعلى كما جاء في النص الآتي: " **وقد نصبت في كل مكان في مصر ملوكاً محليين وحكاماً وضباطاً ومشرفين على الميناء وموظفين ورجال ادارة وقد خصصت ضرائب منتظمة لقربان الاله اشور والالهة العظيمة الاخرى**

اسيادي لكل زمان وفرضت عليهم ضرائب لي بوصفي السيد الأعلى تدفع سنويا دون انقطاع "[٤٠].

يتضح من النص ان مصر ضمت الى اشور واصبحت تدفع لها ضريبة سنوية بشكل مستمر.

كانت الاتاوة التي فرضها اسرحدون على مصر مكونة من الحرفيين من نساجي وخبازين وصانعي الجعة وصناع السفن وحدادين إذ تم نقلهم الى اشور، كما يبين من هذا النص:"... **أمر بترحيل جماعات من الاطباء ومفسري الاحلام وسحرة الثعابين وصانعي الاثاث الى عاصمته**"[٤١].

وكان من بين الملوك التابعين للاشوريين نيخو ملك سايس الذي اعترف بسيادة الملك اسرحدون واطلق على ابنه اسم اشوري وهو بسماتيك ن كما قام منتو محات امير طيبة بالشيء نفسه وقدم الجزية الى اسر حدون[٤٢].

غادر اسرحدون مصر متخذاً لقباً جديداً فضلاً عن ألقابه الأخرى وهو(ملك ملوك مصر وبلاد بابوريسو وبلاد كوشي)[٤٣].

تشير المصادر المصرية الى ان منطقة الدلتا حكمت من قبل اشور دون مراعاة شفقة او عطف نحو المصريين ولم تحاول التعرف الى الحضارة المصرية او احترام عاداتهم ولم تكترث بمعبوداتهم مما أجج الثورة في نفوس امراء الصعيد، وحنثوا في ولائهم الذي أقسموه لآشور، ثم تواصلوا سراً مع طهراقا وطلبوا منه استعادة الحكم في الدلتا، وعلى إثر ذلك توجه طهراقا نحو الشمال بعدما رجع جيش اشور الى بلاده، ونجح في استعادة سلطته عام٦٦٩ق.م، ثم قام بعزل المتحالفين المصريين مع الاشوريين وتعيين الموالين له، ووصلت الأنباء الى اسرحدون فأسرع بجيشه الى مصر لكنه مات في الطريق[٤٤].

وعين خلفه اشور بانيبال احد قواده على رأس جيش أمره بمتابعة الهجوم على مصر، استطاع الاشوريين احراز النصر مرة اخرى، وان ظل الصعيد يستمتع باستقلال ذاتي[٤٥]، غير ان الاضطرابات تجددت ثانية في مصر من جانب الامراء المحليين الذين سبق تعينهم من قبل اشور بانيبال، وقاد هذه الحركة نيخاو، فأعاد اشور بانيبال تعيين نيخو على عرشه بعد القضاء على العصيان، وعين امراء محليين لحكمها بعد ضمان ولائهم بتعدهم بدفع الجزية[٤٦].وحمل لواء الثورة تانوت آمون كما أشرنا سابقاً، لذا أصدر اشوربانيبال قوة عسكرية عام٦٦١ق.م تمكنت من هزيمة تانوت آمون وتعقب جيشه حتى طيبة[٤٧].

هوامش البحث:

([1]) Post agate, J.N, The Economic Structure in Assyrian Empire in the yoke of Assur , (Oxford:2007) ,p,20.

([٢]) الاراميون: مجموعات قبلية بدوية الذين هاجروا نحو بلاد الشام والرافدين منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، استقروا في أواسط الفرات واقتبسوا من جيرانهم بعض المظاهر الحضارية. للمزيد ينظر: انطوان مورتكات، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون،(دمشق،١٩٦٧)،ص٢٦٩؛ سامي سعيد الأحمد، جمال رشيد احمد، تاريخ الشرق القديم،(بغداد، ١٩٨٨)، ص٢٢٩؛ عيد مرعي، تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠-٣٣٣ق.م)، (دمشق،٢٠١٠)، ص٢٢١.

([٣]) الفلسطينيون: وهي احدى قبائل اهل البحر أتوا من البلقان واتخذوا من كريت مقراً لهم، ثم توجهوا نحو بلاد الشام في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط الذي عرف باسم فلسطين.للمزيد ينظر: الاحمد واحمد، المصدر السابق، ص٢٩١.

(٤) الفينيقيون: وهم كنعانيون استوطنوا المنطقة الساحلية المحصورة بين البحر المتوسط في الغرب وجبال البهراء وجبال لبنان والجليل في الشرق، كان لهم دور حضاري بارز باختراعهم الحروف الهجائية (الالفباء). للمزيد ينظر: مرعي: المصدر السابق، ص١٩١-١٩٣؛ الاحمد واحمد، المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٥) يقصد به فلول الحثيين الين نزحوا الى مناطق شمال سوريا الغربي بعد سقوط إمبراطوريتهم بحدود عام ١٢ق.م وقد تمكنوا من تأسيس عدة دويلات في هذه المنطقة منها تابال وميليد (ملاطية)، الا ان الاشوريون انهوا وجودهم السياسي عام٧١٧ق.م.ينظر: الأحمد واحمد، المصدر السابق، ص٣٤٢-٣٤٣؛ صلاح رشيد الصالحي، المملكة الحثية، (بغداد،٢٠١١)، ص٣٩-٤٢.

(٦) الميديون: من الشعوب الهندو- اوربية الذين استوطنوا الجهات الشرقية من جبال زاكروس جنوب وغرب بحيرة اورمية، واتخذوا من اكبتانا (همدان الحالية) عاصمة لهم. للتفصيل ينظر: دياكونوف، ميديا، ترجمة: وهيبة شوكت، (دمشق،١٩٩٨)، ص٢٩٦.

(٧) سمير اديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، (القاهرة،١٩٩٧)، ص ٢٢٥.

(٨) نبيل نورالدين حسين محمد، الحملات العسكرية الآشورية: دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المشورة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص٢٨.

(٩) محمد صبحي عبدالله، العلاقات العراقية – المصرية في العصور القديمة، (بغداد،١٩٩٠)، ص١٢٥-١٢٦.

(١٠) عبدالله، المصدر السابق، ص١٢٩.

(١١) المصدر نفسه، ص١٤٠.

(١٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، (الموصل،١٩٧٩)، ص١٥٠؛ رمضان عبده على، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته إلى مجيء حملة الإسكندر الأكبر،(القاهرة، د.ت)،ص ٢٢١-٢٢٢.

(13)Luckenbill.D.D.ARAB.Vol.11.p.211.No.527.

(١٤) طالب منعم حبيب، سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤-٦٨١ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد،١٩٨٦،ص١١٤-١١٥.

(١٥) هديب حياوي عبد الكريم غزالة، دور حضارة العراق القديمة في بلاد الشام، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية،٢٠٠٢،ص١٩٥.

(١٦) سفر أشعيا، الإصحاح، ١:٢٣-١٣.

(١٧) وليد محمد صالح فرحان، العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦،ص١٠١؛منير يوسف طه، علاقات الاشوريين مع الاقاليم في "موسوعة الموصل الحضارية، (الموصل،١٩٩١)،مج١، ص٩٩.

(18) Luckenbill , D.D. The Annals of Sennacherib,(Chicago:1943) , p,31.

(١٩) احمد حبيب سنيد الفتلاوي، أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط،٢٠٠٦، ص١٣٨؛

-Grayson, A.K. Assyrian and Babylonian Chronicles, (New York,1975),p.81.

(20) Oppeheim , A, L ,(1969),p, 290.

(٢١) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤١-١٤٢؛ رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته الى مجيء حملة الاسكندر الاكبر، (القاهرة، د.ت)، ج١، ٢٤٣.

(٢٢)الفتلاوي، المصدر السابق،ص١٤٢؛ فرحان، المصدر السابق،ص١٠٤.

(٢٣) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢٤) طعمة وهيب خزعل، المملكة الاشورية من القوة إلى الانهيار٧٢٢-٦١٠ق.م، مجلة التراث العلمي العربي، عد٢، ٢٠١٥، ص٣٤١.

(٢٥) الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٤٤.

(27) IR.P.18-19.
(28) ARAB, II, T.N. 770.
(29)Luckenbill.D.D., ARAB, II, No. 779.

(٣٠) فرحان، المصدر السابق،ص١٠٦.

(٣١) رياض عبدالرحمن امين الدورى، آشور بانيبال ٦٦٩-٦٢٧ ق.م سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦،ص٧١.

(٣٢) على، المصدر السابق، ص٢٤٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٢٤٥-٢٤٦؛ محمد، المصدر السابق، ص٦٠؛ سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، (القاهرة،٢٠١٤)،ص٣٩٥.

(٣٤) احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (القاهرة،١٩٨٠)، ص٢٤٩؛

-ARAB, II, T.N. 776,777,778.

(٣٥) عبدالعزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق،(القاهرة،٢٠٢١)، ص٤٣٤؛ محمد، المصدر السابق، ص٦١.

(٣٦) فاتن حميد قاسم محمد السراجي، المراسلات الادارية للامبراطورية الاشورية الحديثة(٩١١-٦١٢ق.م) تجاه حكام المقاطعات، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠١٦، ص٤١.

(٣٧) حبيب، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٣٨) علي ياسين الجبوري،الادارة، في "موسوعة الموصل الحضارية"،(الموصل،١٩٩١)،مج١، ص٢٥٨.

(٣٩) جيمس هنرى برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور الى الفتح الفارسي، ترجمة:حسن كمال، (القاهرة،١٩٩٦)، ٣٧٤؛
-Hall. H.R. The Ethiopions and “Assyrian Egypt” ,(1976) , vol, 3 ,p282.

(٤٠) فخري، المصدر السابق، ص٢٤٩؛
- Oppenheim ,“ Babylonian and Assyrian Historical Text “ANET, P. 293.
(41) Wiseman,D. J.”The Vassal-Treaties of Esarhaddon “. Iraq , (London:1958), p.11.

(٤٢)الفتلاوي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(٤٤) نجيب ميخائيل، مصر وسورية في العصور القديمة، (الاسكندرية،١٩٥٨)، ص٢٧؛عارف احمد اسماعيل المخلافي، تاريخ وادي النيل،(صنعاء،٢٠٠٣)،ص١٧٣.

(٤٥) ميخائيل،المصدر السابق، ص٢٧.

(٤٦) فرحان، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٤٧) اديب، المصدر السابق، ص٢٤٢-٢٤٣.